
القادة الأبرار
الإمام الحسن بن علي (ع)

الإمام الحسن بن علي (ع)

القَادَة الأبْرَار

الإمَام الحسَن بنْ عَليّ (ع)

الدار الاسلامية

الطبعة الثانية

١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م



كورنيش المزرعة / بناية الحسن سنتر / الطابق الثاني
هاتف ٨١٦٦٢٧ / ص . ب : ١٤٥٦٨ تلكس ٢٣٢١٢ - غدير
فرع ثاني / حارة حريك مفرق الحلباوي / هاتف ٨٣٥٦٧٠

القادَةُ الأبرارُ

الإمامُ الحسنُ بنُ عَليٍّ (ع)

الاسم	:	الإمامُ الحَسَنُ (ع)
اسم الأَبِ	:	الإمامُ عَليٌّ (ع)
اسم الأُمِّ	:	فاطمةُ الزَّهراءُ (ع)
تاريخُ الوِلادة	:	١٥ رمضان السَّنةَ الثَّالثةَ للهجرةِ
محلُّ الولادةِ	:	المدينةُ
تاريخُ الاسْتِشهادِ	:	٢٨ صفر سنة ٥٠ للهجرة
محلُّ الاستشهادِ	:	المدينةُ
مَحلُّ الدَّفْنِ	:	المدينةُ (البقيع)

باسمِهِ تعالَى

الجاهِليَّةُ والإِسْلامُ

كانتْ الأمورُ في العصرِ الجاهِليِّ تأخُذُ طابَعَ الجاهِلِيَّةِ في كُلِّ شيءٍ، فَمنْ كانَ الأقدَرَ على الظُّلمِ والجَبَروتِ؛ وكانَ أطوَلَ باعاً في المكرِ والخِداعِ؛ كانتْ لهُ السَّيطرةُ الكاملةُ، وتَمتَّعَ بالاحْترامِ والإِجلالِ، مَخافةَ ظُلمِهِ وبطشِهِ. .

وكانتْ قِيادةُ مكَّةَ والجزيرةِ العَربيَّةِ في العصرِ الجاهليِّ، مَعقودةَ اللِّواءِ لأبي سُفيانَ وعائلتِهِ بني أُميَّةَ. فَمُعاويَةُ وأَخوهُ يزيدُ الأوَّلُ، وأبو جَهْلٍ وأبو لَهَبٍ، وغَيْرُهُمْ منْ أعوانِهم؛ كانُوا القائِمينَ على الأُمورِ، في مكَّةَ وَفي غَيرِها من الأرضِ العَربيَّةِ.

وبعدَ أنْ ظَهرَ الإِسلامُ بنوره، وانْحسَرَتْ الجاهِلِيَّةُ بِظُلُماتِها، انْقلبَ كُلُّ شَيءٍ، فَتَبَدَّلَتْ القيمُ والمَقاماتُ وأضحى عالِيها سافِلَها، فارتَفَعَ وعَلا منْ كانَ مُتَواضِعاً، وانْحدرَ وذَلَّ من كانَ مُتَعالياً، وبِتَبَدُّلِ المفَاهيمِ تبدَّلت مَراتبُ النَّاسِ، فسقَطَ الأعيانُ

والكُبَراءُ وَطَواهُمْ النِّسيانُ، بَينَما ارْتفعَ وسَما كُلُّ ما هـوَ إنسانيٌّ، وغَدا مَوْضِعَ اعتبارٍ وتَقديرٍ، وهكذا فقـدْ تَسنَّم الـرَّسـولُ (ص) وأهلُهُ وأصحـابُـهُ الصَّـالِحـون أعلى مَقامٍ . .

بَعدَ هذا الانْقِـلابِ الكَبيرِ؛ وبعـدَ ظَفَرِ حـزبِ اللهِ وأهـلِ الإيمـانِ، وانكِسـارِ شَـوْكَـةِ حـزبِ الجـاهِليَّـةِ والشِّرْكِ؛ اضْطُرَّ أبو سُفيانَ ومعـهُ بنو أُمَيَّـةَ إلى التَّسليمِ والقَبـولِ بِقيـادَةِ رَسـولِ اللهِ (ص)، وذلـكَ بَعـدَ فَتْـحِ مكَّـةَ. لكنَّ القُلوبَ السَّوداءَ بقيتْ على سَـوادِها، كمـا بقيتْ على حالِها عَداوتُهم الرَّاسِخةُ للرَّسولِ وأهلِ بيتِهِ والمُؤمنينَ.

بعدَ الرَّسولِ . .

وبعـدَ أن أغمضَ الرَّسـولُ (ص) عينيـهِ، وارْتحـلَ عنْ هـذا العالَمِ ، بَقيَ أبـو سُفيانَ ومعـهُ حِـزبُ الكُفـرِ والنِّفـاقِ على هُـدوئِهِم، فَنِفـاقُهم كـانَ في مـأمَنٍ منَ الافْتِضـاحِ ، وكانَ كُـلُّ هَمِّهم ألاَّ تقـعَ أسبـابُ القُـدرةِ الماليَّةِ والقُدرةِ السِّياسِيَّةِ بينَ أيدي أهلِ البيتِ، وكانُـوا يسعَـوْنَ أن تَبقى هـذِهِ القُـدُراتُ حِكْـراً على غَيْـرِهِم،


الله أكبر

ونَجَحَ مَسعاهُم ذاكَ؛ ومِنْ هَـذا القَبيلِ اسْتـأثَرَ مُعـاويةُ بـالهَيْمَنـةِ على دمشقَ وحِمصَ وفِلسـطينَ والأُردُنِّ، وجمَـعَ بينَ يَديْـهِ أَسبابَ الثَّروةِ والقُوَّةِ، وغَـدا مَشهوراً في كافَّةِ أنحاءِ العالَمِ الإِسلاميِّ. وبعدَ مَقتـلِ عُثمانَ، ومُبايعةِ عليٍّ صهرِ الرَّسولِ وابنِ عَمِّهِ، وأبي الإِمـامَيْنِ الحَسَنينِ بـالخِلافـةِ، قامَ المنـافقونَ وأهـلُ البـاطِـلِ، يرفَعونَ لِواءَ العِداءِ ورايَةَ الخِلافِ من جَـديدٍ، وشَهَـروا سُيـوفَهم في وجـهِ الإمـامِ (ع)، في حُـروبِ الجَمَـلِ وصِفّينَ والنَّهـروانِ، وكـانتْ مُنـاسَبـاتٍ جمعتْ أعـداءَ الإِسلامِ وأهلَ البـاطِلِ، وَوَرَثَـةَ الجاهِليَّـةِ، إلى جانبِ مُعاويةَ بنِ أبي سُفيانَ.

وبَيْنَ مَدٍّ وجزْرٍ في القِتالِ، وأَخْذٍ ورَدٍّ في الجِدالِ بين عليٍّ (ع) ومُعاويةَ، اجْتمعَ نَفرٌ من الأغبيـاءِ، الَّذينَ أوْهَمَهم غـرورُهمْ بأنَّهم قـادِرونَ على عِلاجِ مـا يَشْكُو مِنْهُ النَّاسُ، وإصلاحِ أُمورِ المسلمينَ، وقـرَّرُوا أنَّ عِلَّةَ مـا يُعاني منـهُ المُسلمونَ تَعُـودُ إلى ثُـلاثِيٍّ خَـطِرٍ، هـوَ مُعـاويةُ وعَمْـرو بنُ العاصِ وعَليٌّ، وأنَّـه ليسَ من حَلٍّ يَضمَنُ الخَـلاصَ للمسلمينَ سـوى القَضـاءِ على ذلـكَ الثُّـلاثِيِّ دَفعـةً واحـدةً. ونتيجـةً لتفكيـرِهم السَّقيمِ



اسْتُشْهِـدَ الإمامُ (ع) ذلـكَ القائـدُ الورِعُ العـادِلُ، بينما فُتِحَ الطَّريقُ واسِعاً أمامَ الآخَرِيْنِ . .

عهدُ الحسنِ

في ذلـك العهدِ، حينَ كـانتْ قِيادةُ النَّـاسِ وإدارةُ الأَعمالِ بيد أعـوانِ مُعاويـةَ، تَسلَّمَ الإمامُ الحسَنُ (ع) الخِلافةَ. وكانَ عليهِ أنْ يُواجِهَ أسوأَ القادَةِ الـذينَ كانُـوا قـد تسلَّموا مَنـاصِبَهم في ذلكَ الحينِ، وجُلُّهمْ من بني أميَّـةَ، وقَد كـانُـوا من سنـواتٍ طَـويلةٍ في انتـظارِ هـذهِ المنـاصِبِ. ليَخضِمُـوا مـالَ اللهِ خَضْمَ الإِبِـلِ نبتَـةَ الرَّبيعِ . .

كانتْ خِلافـةُ الإمامِ الحسنِ (ع) في ذاكَ العهـدِ، تُغَـطِّي أقسامـاً واسِعـةً منْ العـالَم الإسـلاميِّ، تَشْمَـلُ فارِسَ وخُراسانَ، واليمنَ والحِجازَ، والكُوفةَ والعـراقَ. وكـانتْ مَنـاطِقَ يَسـودُهـا القلقُ والاضْـطِرابُ، رغمَ أَنَّ أهلَها يَدينونَ له بِالطَّاعةِ.

أَدرَكَ الإمامُ مُنذُ الأَيّامِ الأُولى لخِلافتِهِ أن مُعاويَـةَ يُضمِرُ لهُ السّوءَ ويَستَعِدُّ لحـربِهِ. فبعثَ بِعـدَدٍ منْ رُسُلِهِ إلى حُكَّامِ المُدنِ والـولاياتِ، يَـطلُبُ منهمْ الاستعدادَ

والتـأَهُّبَ للقِتالِ ، كمـا أرسلَ إلى مُعـاويةَ كِتابـاً يُلقي عليـهِ فيه الحُجَّـةَ، ويَنصحُهُ ويُبَصِّـرُه بعواقبِ أعمـالِه. ويُبيِّنُ فيهِ حقَّهُ وجَـدارَتَه بـالخلافـةِ. وأَنَّ الحِرصَ على الإسـلامِ وَوَحدةِ المُسلمينَ يَقتَضي البُعـدَ عَنْ الحربِ والخِصـامِ ، ويَدعُـوه إلى انْ يَستجيبَ لِداوعي العقـلِ وفُروضِ الطَّاعةِ، وألاَّ تأخُذَهُ العِزَّةُ بالإثمِ ، فيوردَ نفسَهُ مَـوارِدَ الهلاكِ، ويـوردَ الأمَّـةَ الإسـلاميـةَ مـواردَ الفِتنـةِ والخِـلافِ، ثمَّ يَتوعَّـدُه أخيراً بـالقِتالِ إنْ لمْ يَستجبْ، حتَّى يحكمَ اللهُ بينهما . .

ولكنْ . . أينَ مُعاويةُ من هذه النَّصائحِ ؟! فالـرَّجلُ لا يتـطلَّعُ إلاَّ إلى الحُكمِ والرِّئـاسـةِ، ولا يتـردَّدُ ـ في سبيلِ الوُصـولِ إليهما ـ منَ الإقـدامِ على أيِّ عملٍ ، مَهما كانَ عملُهُ باطِلاً وبَعيـداً عن الحقِّ. وبَدَلاً منْ أنْ يَستجيبَ لِنصـائحِ الإمـامِ ، فقـدْ أرسـلَ جَـواسيسَـهُ ـ خِفيةً ـ إلى الوُلاةِ والقادةِ ـ يُمَنِّيهِمْ بالأمـوالِ والعَطَايَـا، والجاهِ والمناصِبِ، إنْ همْ ابْتعـدُوا عنْ الإمامِ ووقَفُـوا إلى جانبِه هُوَ.

قَبِـلَ الكثيـرونَ من أعيـانِ تلكَ الأيَّـامِ عُـروضَ مُعـاويـةَ وإغـراءاتِـهِ، ونَقَضُـوا عُهـودَهم مـعَ الإمـامِ



الشَّـرعِيِّ، وانْضمَّ بعضُهم عَلَناً إلى مُعسكَـرِ مُعـاويـةَ، كمـا عَرضَ عليـهِ بعضُهم الآخَرُ أن يُلقُـوا القبضَ على الإمـامِ ويُـرسِلوه إليـهِ أَسيـراً! لكنَّ مُعـاويـةَ الـدَّاهيـةَ المُخادعَ، طلبَ إليهمْ أن يبقَوْا كما هُمْ عليهِ، حتَّى إذا انْدلَعَ القِتالُ، انْقلبُوا على الإمامِ وخذَلوهُ.

ومضتْ شُهورٌ. . اشترى معـاويةُ خِـلالَها بِـأموالِـهِ وهَـداياهُ كَثيـراً من زُعَمـاءِ القَبـائـلِ، مِمَّنْ اعْتـادَ على قَبُـولِ الأَموالِ والـرَّشـاوي، ومِمَّن هـوَ على استْعـدادٍ لبيـعِ نفسِـهِ ودينِـهِ وضَميـرِه بِثمنٍ بَخْسٍ. لقـدْ أَدركَ أُولئـكَ الزُّعَمـاءُ أنَّ طريقَ الإمـامِ هُوَ طـريقُ أبيـهِ أميـرِ المؤمنينَ عَليهما السَّلامُ، وأَنَّ الطَريقَ الآخَرَ هـوَ طريقُ المغـانِم والكَسبِ الـوفيـرِ، فـاخْتـارُوهُ، وبـاعُـوا دينَهم بِدُنياهم، وَبِأبخسِ الأَثمَانِ!!

الخيارُ بين الدينِ والدُّنيا

تَحـرَّكَ معاويـةُ بجيشٍ كبيرٍ نحـوَ الكُـوفـةِ مَعقِـلِ الإمامِ (ع). وكانَ الإمـامُ يَسعى بدورِهِ لـدفعِ الكُـوفةِ إلى الجِهـادِ، ويَلقَى في سَعيِـه العَنـاءَ والتَّعَبَ، لأنَّ القليلينَ كانُوا على استِعـدادٍ لذلـك، وَكانُـوا فِرَقـاً لِكُلٍّ

منهمْ رأيٌ مُختلِفٌ، وإنَّ جَيشاً يَجري تَجميعُهُ من مِثلِ هؤُلاءِ، لَهُـوَ جيشٌ عـاجزٌ عنْ خـوضِ حـربٍ جِـدِّيَّـةٍ وجِهادٍ صادقٍ.

عَيَّنَ الإمامُ (ع) ابنَ عمِّهِ عُبيْدَ اللهِ بنَ عَبَّاسٍ لِقيادَةِ جيشِهِ، ونحنُ نَعلمُ أنَّ عَبيدَ اللهِ هُوَ منْ قُرَيْشٍ، يَعـرِفُهُ جَميـعُ قـادةِ الجيشِ وَزعمـاءُ القبـائـلِ ويَحتَـرمُـونَـهُ وَيُطيعونَ أوامِرَه. وكانَ منْ أَوائِـلِ الَّذينَ بـايَعُوا الإمـامَ الحسنَ (ع)، بالإضافـةِ إلى أنَّ قلبَهُ كـانَ يَطْفَـحُ كُرهـاً وعداوةً لمعاويةَ، الَّذي قَتلَ أبناءَهُ..

بَعثَ الإمـامُ بِعبيْدِ اللهِ على رأسِ جيشٍ منْ اثنيَ عَشَرَ أَلفاً نحوَ مُعاويةَ، بَينما توجَّهَ هُوَ بجيشٍ كَبيرٍ نحـوَ المدائِنِ، وأقامَ مُعَسكرَهُ هُناكَ؛ كَجُزءٍ منْ خُطَّةٍ لِلتَّغلُّبِ على جُيوشِ مُعاويةَ الجَرَّارَةِ..

لم يكن مُعاويةُ قـد نسيَ مرارةَ حـربِ صِفِّينَ، ولا تَـزالُ ذِكـرى سُيـوفِ أصحـابِ علـيٍّ (ع) تُصيبُـه بـالارْتِجـافِ؛ لِـذا فقـدْ صَمَّمَ على أنْ يتـوسَّـلَ الحيلةَ والخِداعَ في حربِـهِ هذِهِ؛ فـأرسَلَ مُـوفداً إلى عُبيـدِ اللهِ خِفْيَةً، يَعرِضُ عليـهِ ألفَ ألفِ دِرهَمٍ (مِليونَ دِرهمٍ)، إنْ قَبِلَ أن يَنفُضَ يَديهِ من هذهِ الحربِ، على أنْ يَدفعَ

لـهُ نِصفَ المبلغِ في مُعسكَـرِهِ إذا أتى إليـه، والنِّصفَ الآخرَ في الكوفةِ.

بَقِيَ عُبيدُ اللهِ أيَّاماً وهُوَ حـائرٌ في أمـرِهِ، فَهُوَ يَعلَمُ أنَّ قِلَّةً من النَّـاسِ قد اسْتجـابُوا لِـدعوةِ الإمـامِ، بَينمَا يَقـودُ مُعاويـةُ جَيشـاً لَجبـاً، وتَصـوَّرَ أنَّ جيشَ مُعـاويـةَ سَينتصـرُ لا مَحالـةَ، فَلِمَ التردُّدُ؟! والعَـرْضُ فيهِ إغـراءٌ كَبيرٌ؟!

صمَّمَ عبيدُ اللهِ أَخيراً، واتَّخـذَ قراراً مُلؤهُ الخجـلُ والعارُ؛ وفي مُنتَصَفِ تلكَ الليلةِ. انسحبَ معَ مجموعةٍ من أعيانِ الجيشِ وقادَتِـهِ نَحوَ مُعسكَـرِ مُعاويـةَ.. لقدْ اختارَ أن يبيعَ اللهَ ورَسولَهُ وإمامَه ودِينَـهُ بثمنٍ رَخيصٍ، وأنْ يفُوزَ بوصْمةِ عارٍ لَنْ تُفارِقَهُ إلى الأبدِ..

اجتمعَ النَّاسُ لِصَـلاةِ الصُّبحِ. وانْتـظروا عُبيدَ اللهِ كي يَؤُمَّهمْ في الصَّـلاةِ، حيثُ مِنَ المُقـرَّرِ أنْ يَنْـطَلِقـوا بعـدَ الصَّلاةِ إلى القتـالِ. لكنَّ انتِـظارَهُم ذهبَ عَبَثـاً، فَعُبيدُ اللهِ لمْ يحضُرْ إلى الصَّلاةِ.. ثمَّ عَرَفُوا الحقيقةَ إذْ سَمِعُـوا مُنادِيـاً من مُعسكَـرِ أَهـلِ الشَّـامِ يَقـولُ: أيُّهـا النَّـاسُ؛ تَفَـرَّقُـوا وعُـودوا إلى بيُـوتِكُم، فـإنَّ عُبيـدَ اللهِ وأنصارَهُ في مُعسكَرِ مُعاوية، وقـد اختارُوا الصُّلحَ علىَ



الحربِ، فلا خيرَ في قِتالِ الإخوةِ!!

كـانَ عُبيدُ اللهِ الـرَّجلَ الأوَّلَ بعـدَ الإمامِ في إمرةِ الجيشِ . وكـانتْ خِيانـةُ هذا الـرَّجـلِ «الكبيـرِ» وهـذا «الفَقيهِ» المعروفِ، باعِثاً على تَخـاذُلِ الكثيرينَ، كَمـا خُدِعَ آخَرونَ بدعوةِ السَّلامِ الكاذبةِ، وشَرَعُوا يتفرَّقـونَ كلٌّ في اتجاهٍ.

أَحسَّ جَمـاعـةٌ من أَنصـارِ الإمـامِ المخلِصينَ بـالخِدعَـةِ، وحَاولُـوا إعادةَ المتخـاذِلينَ ولَمَّ الصُّفوفِ، لكنَّ مُحَـاوَلتَهمْ بـاءَتْ بـالفَشـلِ . وبَقِيتْ قِلَّةٌ صـادِقـةُ الإيمـانِ ثابِتَـةً في موقِفِهـا، وقد نَـذَرَ أَفـرادُهـا أَنْفُسَهمْ للموتِ في سبيلِ الحقِّ، وأَرسَلُوا إلى الإمـامِ يَطْلُبـونَ إمدادَهُمْ بِالرِّجالِ .

كانَ الفارُّونَ والمُتخاذِلونَ يتَّجِهونَ نحوَ المـدائِنِ، ويَنْشُـرونَ في طريقِهِمْ أَخبـاراً كاذِبـةً مُفـادُهـا أنَّ جيشَ مُعـاويةَ قـد انتصَرَ على طَليعـةِ جَيشِ الإمامِ ، وغَـدَتْ هذهِ الأنباءُ عُذراً لأولئكَ الَّذينَ خَرجُوا مع الإمـامِ رياءً وعَلى كُـرهٍ منهمْ، وحُجَّـةً تـذرَّعـوا بِهـا في تخـاذُلِهمْ وعَـودتِهم إلى الكُوفـةِ. إنَّ القِصَّة تُعيـدُ نَفسَهـا، قِصَّـةَ الخَـوارجِ مع أَميـرِ المؤمنينَ (ع)، قِصَّةَ أولئـكَ الَّـذينَ



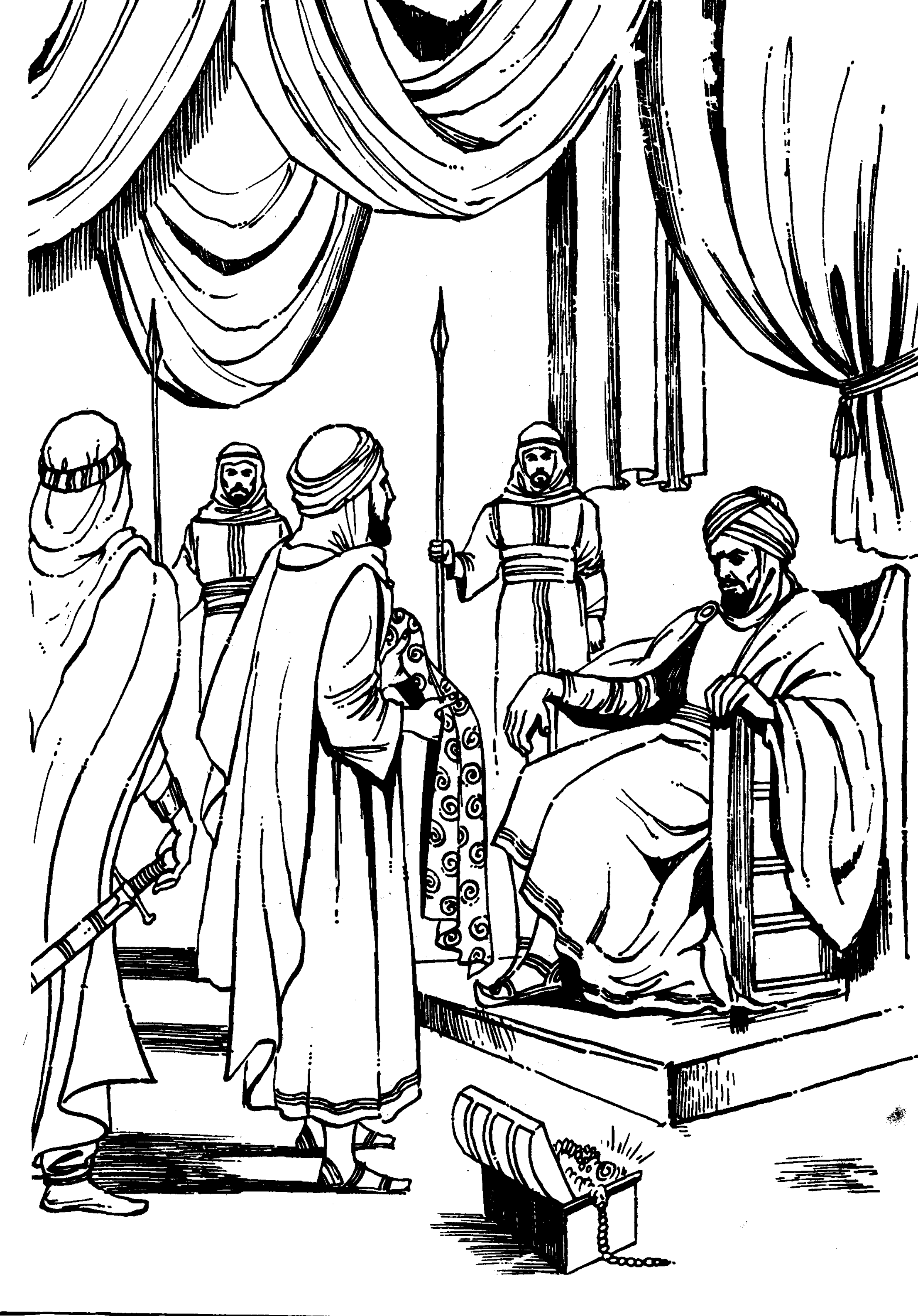
يَخذُلُون إمامَ زَمَانِهِمْ، لا بلْ يَقتلُونَهُ، فَواعجباً! يَدَّعُونَ أنَّهم حُمَاةُ الإسلامِ والحقِّ، ثُمَّ يَفتحونَ الطَّريقَ واسِعاً أمامَ أعداءِ الإسلامِ والحَقِّ!!

القِصَّةُ تُعيدُ نفسَها اليومَ.. في صُورةِ امتحانٍ كَبيرٍ، يَتِمُّ فيهِ الفرزُ جَيِّداً، فالمُنافِقونَ ضِعافُ النُّفوسِ عادُوا أذِلَّةً إلى بُيوتِهِمْ، والأصحابُ الأوفياءُ الصَّادِقُونَ ثَبَتُوا في مواقِعِهِمْ أُباةً أَعِزَّةً، وطَريقُ الشَّهادةِ أمامَهم واضِحٌ مُستقيمٌ لا عِوَجَ فيهِ.

الخيارُ الصَّعْبُ

لم يبقَ أمامَ الإمامِ الآنَ غيرُ طَريقينِ لا ثالِثَ لَهُما، فإمَّا القِتالُ والتَّضحيةُ بأولئكَ الأوفياءِ المخلصينَ، وإمَّا الرُّضوخُ لشروطِ الصُّلحِ، والصَّبرُ عَلَى الألمِ، طريقٌ صَعبٌ.. لكنَّ فيه خَلاصاً لأولئكَ الأصحابِ البَرَرةِ مِنْ قَتْلٍ لا طائلَ تحتَهُ، واختارَ عليهِ السَّلام وقفَ القتالِ على شُروطٍ، اختارَ بَقِيَّةُ عَليٍّ ما اخْتارَهُ أبوهُ - عليهما السَّلامُ - قبلَ خمسٍ وعشرينَ سنةً، ونَفَضَ يديهِ - مُكْرهاً - مِنَ الاحْتِكامِ إلى القتالِ.

كانَ هذا اليومُ - والحَقُّ يُقالُ - أكثرَ أيَّامِ المُسلمينَ



خَيْبَةً ومَرارةً، كـانَ مِنَ السَّهلِ اليسَيرِ على الإمامِ أنْ بأمُرَ بِمُتابعةِ القتالِ ، فيُقاتـلُ معَ أصحـابِه حتى يُقتَلوا، إنَّه ابنُ عليٍّ عليهما السَّـلامُ، وليسَ هُوَ بـالَّذي يَخشى الموتَ، لكنَّهُ كانَ يُدرِكُ جَيِّداً أنَّهُ لن يُقتَلَ حتى يتقدَّمَهُ أهلُهُ جَميعاً إلى القتلِ ، وأَنَّ أهلَهُ أيضـاً لنْ يُقتَلوا حتَّى يَسبِقَهمْ إلى المـوتِ أنْصـارُهم، دونَ أنْ تكـونَ بِقتلِهمْ الفـائـدةُ المـرجُـوَّةُ في تَـوعِيـةِ المُسلمينَ، لأَنَّ حقيقـةَ الخلافِ بينَ الحسنِ ومُعاويةَ كانتْ ما تَزالُ خـافِيةً على الكثيرينَ؛ وهَذا هوَ عينُ ما كانَ مُعاويةُ يُريـده ويَتمنَّاهُ، كـانَ طيلةَ حُكمِه في الشَّـامِ يَدَّعي ويُـوهِمُ النَّاسَ بـأنَّه حـامي حِمى الإسلامِ ، وكـانَ النَّاسُ يُصـدِّقون ذَلـك، لأنَّهم لم يكُـونُـوا قـد كَشَفُـوا بعـدُ خِيـانَتَـهُ لـلإسـلامِ والمُسْلمينَ، وأنَّـهُ إنَّمـا يَـرمي إلى تـأمينِ مَصـالحِـه ومَصالحِ عائِلتِه، مُتوسِّلاً بِحمايتِه لـلإسلامِ في سبيـلِ ذَلك. هذهِ هيَ حَقيقةُ الخلافِ بينَ الرَّجلينِ، فإذا قُتِـلَ الحسنُ اليومَ فلنْ يَعرِفَ النَّاسُ الحقيقةَ.

وَهكذَا. . وفي أكثرِ أيَّامِ المُسلمينَ ظَلاماً، وحَيثُ لم تَكُنْ ـ حتَّى دمـاءُ الشُّهـداءِ ـ لِتُجْـدِيَ نَفْـعـاً في إيقـاظِ الأُمَّـةِ منْ سُبـاتِهـا، قَبِـلَ الإمـامُ الحَسنُ (ع) الصُّلحَ، وأَعـطى فُـرصـةً ليـومٍ آخَـرَ سَيـأتي. . يـومٍ

سَيَكْتَشِفُ النَّاسُ فيه حقيقةَ مُعاويةَ، وحقيقةَ الخلافِ، فيهُبُّوا عندَها للقتالِ وللشَّهادة، بعدَ أنْ يكُونُوا قدْ عَرفُوا الحَقيقَةَ..

قَبِلَ الإمامُ الصُّلحَ بعدَ أنْ أخذَ منْ مُعاويةَ عَهداً اعترفَ فيهِ هَذا بِكثيرٍ منَ الحقائقِ الَّتي كانتْ سَبَباً في وعيِ النَّاس وإدراكِهم، وهذا مَا كانَ يَرمي إليهِ الحسنُ (ع)، وقَدْ تعهَّدَ مُعاويةُ بألاّ يُعَيِّنَ وليّاً لِعهدِهِ، فليسَ ذلكَ منْ حَقِّهِ، وأَنْ يدَعَ الشيعَةَ وشَأْنَهُمْ فَلا يتعرضَ لهم بِقتلٍ أَوْ أذيَّةٍ، وأَنْ يمنعَ أعوانَهُ من شَتمِ أَميرِ المُؤمنينَ (ع)، وأَنْ يدفعَ للحسنِ الخَراجَ الَّذي هوَ حقٌّ لَهُ، وأُمورٍ غَيْرِها.. تَمَّ الاتِّفَاقُ والتوقيعُ عَليها، وَتَوقَّفَ القِتالُ، وعادَ الإمامُ وأهلهُ وأصحابُهُ إلى الكوفةِ.

أَحَسَّ أصحابُ الحسنِ (ع) بالخيْبةِ والخِذلانِ، حتى تَمنَّى بعضهُم أنْ لَو تَخَطَّفَهُ الموتُ ولمْ يَرَ هذا اليومَ، واحتجَّ الكثيرونَ على قَبولِ الإمامِ بالصُّلحِ، وصَدرتْ عنْ بعضِهِمْ أقوالٌ غيرُ لائقةٍ، أَمَّا الحُسينُ (ع) فقد كانَ الوحيدَ الَّذي تَقَبَّلَ هَذا الصُّلحَ ولم يعترضْ عليهِ قَطُّ، مُسَلِّماً بِحُكمِ أخيهِ

الإمامِ (ع)، وَرَاضِياً بِصَوابِ تَصَرُّفِهِ.

الحقيقةُ أنَّ الكثيرينَ لم يلتَفِتُوا إلى أمرٍ هـامٍّ، وهُوَ أَنَّ مُعارَضَتَهِمْ للإمامِ هيَ في حكمِ مُعارَضَتِهِمْ للقـرآنِ الكـريمِ ، الَّـذي يُعَـرِّفُنـا بِعصمـةِ أَهـلِ البيتِ عليهمُ السَّلامُ، وأَنَّ ما يُقَـرِّرونَه منْ صلحٍ أو حـربٍ أو أمرٍ أو نَهيٍ ، فهوَ أُمورٌ مُبرَمةٌ مقَـدَّسة. وَأَنَّ اعتـراضَهُم هوَ رَدٌّ على رسولِ اللهِ إذ يقولُ: الحَسنُ والحُسينُ إمـامانِ إنْ قامَا وإنْ قَعَـدا». لكنَّ النَّاسَ يَتَسـرَّعونَ بـالحُكمِ دونَ رَوِيَّةٍ أو تَفكيرٍ.

توجَّهَ مُعاويةُ بعدَ ظفَرِهِ نحـوَ الكُوفَـةِ، بِمَعْقِلِ أميـرِ المُؤمنينَ وأَصحـابِه، وهُنـاكَ وقَفَ على مِنبَرِ مسجـدِهـا الكبيرِ، يملأُ الغُـرورُ أَعطافَـهُ، وشَرَعَ يَتنـاولُ أَصحابَ عَليٍّ (ع) بكـلامٍ بذيءٍ غيـرِ لائقٍ، ثمَّ تَناولَ بِتَقْـريعِـهِ رُؤساءَ القَبائلِ ، فغدَرَ بهِمْ بعـدَ أَنْ كانَ قـد أبرمَ مَعهُمْ المواثيقَ، وصارَ يُحـدِّدُهم بالاسْمِ والإشـارةِ، وخَلَّفَهُمْ في وَضْعٍ فاضِحٍ ذَليلٍ ، لا يُحسدونَ عَليهِ.

وهذِهِ هيَ عاقبـةُ الخِيانَـةِ على أيِّ حالٍ ، فـالَّذينَ أقدَمُوا على خِيانَةِ الإمـامِ (ع) لم يظفَـروا حتَّى بِعطفٍ بائسٍ منْ مُعاوية.



تَوجَّهَ الإمامُ وأهلُه بعدَ هذه الأحداثِ نحـوَ يَثرِبَ، حيثُ استَقَـرُّوا هُناكَ، وتَسلَّم بَنـو أُمَيَّةَ حكمَ الكـوفَـةِ، وفي مكانِ عَليٍّ وعَلى مِنبرِه حَلَّ زيادُابنُ أبيـهِ ومنْ بعدِه ابنه، واضطُرَّ أُولئك الَّذينَ كانُوا يَنتَحِلونَ الأعذارَ لِتبريرِ مَـواقفهمْ من حُكمِ أَميـرِ المؤمنينَ عليٍّ (ع)، ورَفَضـوا قَبـولَ حكمِ العدلِ والتَّقـوى من ابنِه بعـدَه، اضـطُرُّوا لأَنْ يَحنُـوا هامـاتِهِمْ تحتَ سُيـوفٍ ملطَّخـةٍ بـالـدِّمـاءِ، وعَرفُوا ـ ولكنْ متأَخِّرينَ ـ قَدْرَ النَّصَائحِ الَّتي رَفضُوها، كمـا عَرَفُـوا أيَّ بلاءٍ جَلبـوهُ لأَنفُسِهِمْ، ونَدِمُـوا على ما قدَّمتْهُ أيديهِمْ، لكنَّ النَّدمَ المتأخِّرَ لا خَيْرَ فِيهِ.

كانَ أُولئكَ المُنحرفونَ يُعلِنونَ العِصْيانَ باسْتمرارٍ، ولأسبـابٍ وَأعـذارٍ واهيـةٍ، طِيلةَ خمسِ سَنـواتٍ من حُكمِ الإمامِ عليٍّ (ع)، وَبضعةِ شُهـورٍ من حُكمِ ابنِهِ الحسنِ. لكنَّهم الآنَ قَعَدُوا يَلعَقونَ جِـراحَهُمْ، وتَركُـوا لِمعـاويةَ الحبـلَ على غارِبِـهِ، يفعلُ مـا يشَاءُ، دونَ أنْ يُزعجوهُ بحرفٍ أو يعترضوهُ بكَلمةٍ، فلا طلحةَ ولا زُبيْـرَ بينهمْ يَـرفعـانِ لـواءَ التمـرُّدِ والعِصيـانِ، ولا خـوارجَ يُثيرونَها فِتنةً هَوجاءَ عمياءَ، أمَّا المُنافِقونَ فحدِّثْ عنهمْ ولا حَرجَ.

فِي تلكَ الفَترةِ السَّوداءِ الكالِحَةِ منَ التَّاريخِ ، كانَ أصحابُ عَليٍّ فقطْ ، هُمْ الذينَ تَصدَّوْا وحدَهُمْ لِحكمِ الـطُّغيـانِ، وقَـدَّمُـوا أرواحَهمْ في هـذا السَّبيـلِ ، أَمَّـا الأُجَراءُ أَصحابُ الجُعالاتِ، فقدْ زَحَفُوا على وُجوهِهِم وبُطونِهم، يَنثُرُون المديحَ للحكَّامِ دونَ أن ينْسَوْا عَليّـاً عليهِ السَّلامُ من سُبـابِهم وشَتائِمِهمْ، والكـلامِ الَّذي لا يصدُر إلاَّ عنْ أمثالِهم.

كم هُـو يسيرٌ أن يقفَ المؤمنـونَ في وجْهِ جَبـابـرةِ التَّـاريخِ ، غيـرَ أنَّ الـوقـوفَ في وجـهِ «مَعبـودٍ» أجمـعَ الكَثيرونَ على «عِبادتِه» فَأمرٌ فوقَ الطَّاقةِ!!

نقضُ العهدِ

وأخيراً. . وحينَ أدركَ مُعاويةُ اقْترابَ أجَلِهِ، خَشِيَ أن تنتقـلَ الخِلافـةُ بعـدَهُ إلى الحسنِ، فتَضيـعَ جُهـودُه التي أفنى عُمـرَهُ في سَبيلهـا، ويعـودَ أهـلُ البيتِ إلى حَقِّهم، وهُنـا الـطَّامَّـةُ الكُبـرى، فعـزَمَ على دَسِّ السُّمِّ للإمامِ الحسنِ (ع)، ونفَّـذَ ما عـزمَ عليهِ، وقَضى على الإمام مَسمُوماً بيدِ زوْجتـهِ، مُتَنكِّراً لِكُـلِّ عهدٍ أبـرَمَهُ أوْ ميثاقٍ أقسمَ عليهِ، وغمرَ الفرحُ بـاسْتشهادِ الإمـامِ قَلبَ مروانَ عَدوِّ اللهِ وعَـدوِّ نَبيِّهِ، وقُلوبَ كثيـرينَ غيرِه، فلم

يَخجلوا مِنْ رشْقِ تـابُـوتـهِ بِنِبـالِهمْ عنـدَ تشييعـهِ عليـهِ السَّلامُ.

انْصرفَ مُعاويةُ بعدَ ذلكَ إلى إكمالِ خُطَّتِهِ، فأخذَ البَيعَةَ لابنهِ يزيدَ شاربِ الخمرِ، منْ أهـلِ الشَّامِ أوَّلاً، ثم منْ أهـلِ مكَّةَ والمـدينـةِ، فَضمنَ بـذلـكَ اسْتِمـرارَ حُكمِ بني أُميَّـةَ، دونَ أنْ يجدَ من آلِ طلحـةَ والـزبيـرِ منْ يرفعُ في وجهِه رايةَ «الجِهادِ».

ألا ما أَشبهَ اليومَ بالأمْسِ ، فقـدْ حالَ النَّـاسُ دونَ الإمـامِ وحقِّـهِ اليـومَ، كَمـا فَعلُوا مـع أبيـهِ بـالأمسِ . وقطَفُوا - في الحالَتينِ - ثِمارَ عَمَلِهم ذُلاً وَخِذلاناً. لقـدْ بذلَ الحسنُ (ع) جُهدَه في إرشـادِهم وتَوْعيتِهمْ، لكنَّـه كـانَ يَعي حَقيقةَ قـولِهِ تَعـالَى مُخاطِبـاً رسولَـهُ الكَريمَ: ﴿إنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحببْتَ، وَلكِنَّ اللهَ يَهدِي مَنْ يَشاءُ، وَهُـوَ أَعلَمُ بِالمهتَـدِينَ﴾. كانَ يعلمُ أنَّ للرَّسـولِ مُهمَّةً يُؤدِّيها، وهيَ إبلاغُ رِسـالةِ ربِّـهِ إلى النَّاسِ ، أحَبُّـوا أنْ يُؤْمِنُوا بها أمْ لمْ يُحِبُّوا، وكَذلِكَ فَلِلإمامِ مُهمَّتُـهُ أَيضاً، وهـيَ أنْ يَـرعـى اسْـتِـمـرارَ سـيـرةِ الـرَّسـولِ ، ويحفظَ الإسلامَ ويَصُونَهُ بما يراهُ مُناسِباً، وهَذا مـا فعلَهُ عليهِ السَّلامُ، فَقَـدْ سلك سَبيلاً كشفَ للنَّـاسِ ما كـانَ



خافياً عليهِمْ مِنْ حَقائقَ، وبَيَّنَ للجَميعِ أنَّ الخطرَ على الإسلامِ يَكمُنُ في انْخِداعِ النَّاسِ بالمَظَاهِرِ الكاذِبَةِ لِلحُكَّامِ والقادَةِ، الذينَ يَتَظاهرون بالإسلامِ، ويُبطِنونَ غيرَ ما يُبدُون، وعَلَّمَهم أنَّ صَوْنَ الإسلامِ وصَوْنَ وَحدةِ المُسلمينَ أمرٌ يَقتَضي منهمْ الصَّبرَ الجَميلَ، كما صَبَرَ هُوَ كثيراً على هَضْمِ حَقِّهِ، وصَبَرَ على ظُلمِ بَعضِ أصحابِهِ لهُ حينَ خاطَبُوه بقولِهِم: يَا مُذِلَّ المؤمِنينَ!! لَقد صبرَ وهوَ يعلمُ أنَّ صبرَه إنَّما هوَ في سبيلِ اللهِ وعِزَّةِ المُسلمينَ، فلا ضَيرَ فيهِ طالمَا أنَّه يَغرِسُ بُذورَ الثَّورةِ على الظُّلمِ، ثورةِ أخيهِ الحُسينِ، لقد كانَ عهدُهُ وصُلحهُ جُزءاً من ثَورةِ الحسينِ، وحَقَّ فيه وفي أخيهِ عليهما السَّلامُ قولُ جَدِّهِما الرَّسولِ الأمينِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ:

«الحَسنُ والحُسينُ إمَامَانِ إنْ قامَا وإنْ قَعَدَا»